الفصل الثالث
الإسرائيليات في تفسير الصحابة!!

ساق البيان الإلهي طائفة من أخبار الأمم الماضية ، وذلك من باب العبرة والذكرىٰ ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ ـ وذلك بعد سرد قصة يوسف عليه السلام ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] .

لكن أنّىٰ للأمة الأمية ـ أمة العرب ـ أن تستطيع معرفة ذلك ، وهم أبعد ما يكونون عن الحضارة والعلم والتاريخ .

مما أدّىٰ إلىٰ أن يلجؤوا ـ مضطرّين ـ إلىٰ أهل الكتاب ليستفسروا منهم عن تفصيلات حكايات الأمم الماضية ، وخاصةً الذين أسلموا منهم .

وبالطبع فذاك أمرٌ مسموحٌ به في الميزان الشرعي ، مصداق ذلك قول النبي ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار» .

لكن هل السماح بالأخذ عنهم هو سماح مطلق؟ أم أنه سماح مقيّد ومنضبط؟!

بعض الحاقدين علىٰ الإسلام ـ وخاصة المستشرقين منهم ـ صوّروا

---

(١) يوسف: ١١١ .

الصحابة تصويراً يدل علىٰ أنهم يتصفون بالغفلة والسذاجة ، بحيث إنهم يصدّقون كل ما يرد عن (كعب الأحبار ، ووهب بن منبه) وغيرهما ، لكن الحقيقة هي أنهم كانوا يصدّقونهم في الأمور التي تتّفق مع الإسلام ، ويسقطون كل ما يخالف الإسلام ، ويتوقّفون عند كل ما يحتمل الصدق والكذب ، ولا يسألون عن الشبهات . . ، وخاصةً ما يتعلق بالعقيدة .

ولذلك لم يرد مطلقاً أن الصحابة سألوا واحداً من أهل الكتاب عن طول سفينة نوح عليه السلام! أو عن اسم كلب أهل الكهف! أو عن صفة الغلام الذي قتله الخضر! ولا عن تفصيلات حكاية بقرة بني إسرائيل و . . . !!

فتلك من القضايا التي لا تُقدّم ولا تُؤخر ، وليست من الأوليات ، إنما هي من الأمور التي إن عرفها الإنسان فلا ضير ، وإن لم يعرفها ولم يسأل عنها فلا ضير أبداً .

إذاً :

الحاكم للمسألة ، والقول الفصل فيها هو حكم الشريعة الإسلامية ، دليل ذلك قول الرسول صلوات الله عليه : «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» .

لكن ـ كما هي العادة ـ فقد أخذ ذلك بعض المستشرقين ، ومن ثَمَّ سلّطوا عليه المجاهر المكبَّرة ، فاتّهموا الصحابة الكرام تهماً لا تليق ، واعتبروا أن كثيراً مما رواه الصحابة مكذوب وما إلىٰ هنالك ، وذلك لأن مصدره أهل الكتاب .

من ذلك قول محمود أبو ريّة : (وتلقّىٰ الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة ـ يقصد عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن

منبه ـ بغير نقدٍ أو تمحيص ، معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه)[1].

ثم يقول: (وكان من أثر وثوق الصحابة بمسلمة أهل الكتاب واغترارهم بهم أن صدّقوهم فيما يقولون ، ويروون عنهم ما يفترون. . . ، وكان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أكثر الصحابة وثوقاً بهم وأخذاً عنهم وانقياداً لهم)[2].

وأجمل ما يردّ علىٰ الافتراءات أن الكتب المعتمدة والصحيحة قد نقلت لنا طائفةً من الأمور التي تدلّ ـ وبكل وضوح ـ علىٰ أن الصحابة الكرام كانوا يناقشون أهل الكتاب ، فإذا وجدوا صحةً وتثبتاً في المسألة ، أخذوا بها ، وإذا وجدوا فيها خطأً ومخالفة لأمور الشريعة ردوا عليهم خطأهم ، وبينوا الصواب في ذلك.

مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلّي يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلا أعطاه إياه»[3].

ودار نقاش بين أبي هريرة وبين كعب الأحبار ، فقال كعب: إنها في جمعة واحدة من السنة ، فردّ عليه أبو هريرة وقال: بل هي ـ ساعة الإجابة ـ في كل جمعة.

فعاد كعب إلىٰ التوراة ، فرأىٰ أنه قد أخطأ بذلك ، وأن الصواب مع قول أبي هريرة ، فعاد إلىٰ قوله.

مثال آخر: رواه ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن

---

(١) أضواء علىٰ السنّة المحمدية: ١١٠.
(٢) أضواء علىٰ السنة المحمدية: ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٣) صحيح البخاري: ٢/ ١٣.

عباس رضي الله عنهما أنه قال: المفدَّى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود!![1].

مثال آخر: رواه ابن كثير أن ابن عباس بلغه أن نوفاً البكالي ـ وهو ربيب كعب يزعم أن موسىٰ صاحب الخضر غير موسىٰ بن عمران عليه السلام ، فقال ابن عباس: كذب عدو الله!![2].

وروىٰ ابن كثير أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب منكراً: أنت تقول أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟!

وعلّق ابن كثير ذلك بقوله: وهذا الذي أنكره معاوية علىٰ كعب هو الصواب ، والحقّ مع معاوية في ذلك الإنكار!![3].

وروىٰ البخاري في صحيحه عن معاوية بن أبي سفيان أنه ذكر كعباً ، وقال: إنه كان أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب!.

* * *

وغالبية ما يروىٰ من إسرائيليات عن الصحابة معزوٌّ إلىٰ[4]:

أـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

رُوي له (١٦٦٠) حديثاً ، أما في التفسير فقد رُوي له كثير في ذلك ، بل لقد جمع العلامة اللغوي مجد الدين الفيروز آبادي (ت: ٨١٧ هـ) ذلك كله في تفسير كامل ، وُطبع تحت اسم (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) ، لكن معظم طرق ذاك التفسير لم تثبت ولم تصحّ نسبتها إليه رضي الله عنه.

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن: ٢٣/ ٥٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٩٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٠١.
(٤) للتوسع يراجع: الإسرائيليات للدكتور رمزي نعناعة: ١٢٣ ـ ١٣٩.

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمئة حديث[1].

صحيح أن هناك طرقاً صحيحة النسب إلىٰ ابن عباس، كطريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، وطريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، وطريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد بن ثابت. و.. وغيرهم، لكن كثيراً من الطرق لم تصحّ ولم تثبت، كطريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح، وكطريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، وغيرهما.. واستغلّ الحاقدون ذلك، فاتهموا ابن عباس بتوسّعه بالأخذ عن أهل الكتاب، وعلى رأسهم اليهودي المستشرق (جولدزيهر). فمن أقواله في ذلك: (وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرىٰ غضاضةً أن يرجع في الأحوال التي يخامره الشك إلىٰ من يرجو عنده علمها، وكثيراً ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلىٰ من يُدعى: أبا الجلد!!)[2].

ثم يقول: (كثيراً ما تجد بين مصادر العلم المفضلة لدىٰ ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعب الأحبار وعبد الله بن سلام... ولن يعدّ ابن عباس أولئك الكتابيين حججاً فقط في الإسرائيليات وأخبار الكتب السابقة، بل كان يسأل أيضاً كعب الأحبار مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين (أم الكتاب) و(المرجان).

وقد رأىٰ الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم ـ على العموم ـ في القرآن وفي كلام الرسول ﷺ وما فيها من المعاني الدينية، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من

---

(١) الإتقان للسيوطي: ٢/ ٢٢٤.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ٦٥ ـ ٦٦.

كل جهة من سؤالهم)[1] لكن الواقع يثبت أن كثيراً مما نسب إلىٰ ابن عباس موضوع ومكذوب ، ومما يُؤسف أن غالبية المفسّرين نقل ذلك دون التنبيه إلىٰ خطورة ما نسب إليه ، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

روىٰ ابن كثير في التفسير نقلاً عن البيهقي في (الأسماء والصفات) عن طريق شَريك بن عبد الله النخعي عن عطاء بن السائب عن أبي الضحىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[2].

قال: سبع أرضين ، في كل أرض نبيّ كنبيّكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسىٰ كعيسىٰ)[3].

وقد علّق أبو حيّان علىٰ الحديث بقوله: هذا حديث لا شكَّ في وضعه ، وهو من رواية الواقدي الكذّاب![4].

وسند الحديث أيضاً ضعيف ، لأن (شريك) يخطىء ، وقد تغير حفظه منذ ولي القضاء في الكوفة ، وعطاء بن السائب اختلط قبل موته[5].

ومما يدلنا علىٰ الوضع علىٰ ابن عباس رضي الله عنه ما نسبه المفسّر البغوي إليه ، وذلك أثناء تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ . . .﴾[6].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: ٨٥.
(٢) الطلاق: ١٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٨٥.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ٢٨٧.
(٥) تقريب التهذيب: ١/ ٣٥١.
(٦) الأحزاب: ٣٧.

قال: أي حبّ زينب وهي في عصمة زيد!![1]

ورحم الله الشيخ محمد أبا زهرة عندما قال معقباً علىٰ ذلك: وقد كان المنتظر من البغوي ألا يروي خرافة حبّ النبي ﷺ لزينب، بعد تزويجه إياها لزيد عن مسلم مطلقاً، فضلاً عن ابن عباس.

وقد حكىٰ البغوي مثل هذه الرواية عن قتادة أيضاً، وهي لا تصحّ بحال، وقد دسّها في التفسير يوحنا الدمشقي في العهد الأموي.

ب ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

يُعتبر أكثر الصحابة روايةً للحديث، ففي مسند الإمام أحمد له قرابة (٣٨٤٨) حديثاً، ومن أصحّ الطرق عنه: حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد بن سيرين.

واستغلّ الحاقدون علىٰ الإسلام مسألة رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، وروّجوا لادّعائهم الملفق وهي أن كعباً سلّط قوة دهائه علىٰ سذاجة أبي هريرة، ليبثّ في الدين الخرافات والإسرائيليات!!

مصداق ذلك قول أبي رية: (ويبدو أن أبا هريرة كان أول الصحابة انخداعاً به ـ يقصد كعب الأحبار ـ وثقة عنه وعن إخوانه، كما كان أكثرهم رواية للحديث، ويتبيّن من الاستقراء أن كعب الأحبار قد سلّط قوة دهائه علىٰ سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه، وينمّيه ليلقّنه كل ما يريد أن يبثّه في الدين الإسلامي من خرافاتٍ وأوهام، وكان له في ذلك أساليب غريبة، وطرق عجيبة، فقد روىٰ الذهبي في (تذكرة الحفّاظ) في ترجمة أبي هريرة أن كعباً قال فيه: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة، فانظر دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة الذي يتجلىٰ في درس تاريخه أنه كان رجلاً فيه غفلة وغرّة، إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوارة، ولو عرفها لما استطاع أن

---

(١) معالم التنزيل: ٣/ ٦٤٢.

يقرأها لأنها كانت باللغة العبرية . .)!![1].

وقد هيّأ الله سبحانه من علماء الأمة كالدكتور السباعي والدكتور عجاج الخطيب والدكتور أبو زهو والدكتور أبو شهبة ـ من ردّ أمثال تلك الاتهامات وفنّدها تماماً ، ورحم الله العلامة المحقق أحمد شاكر عندما قال في ذلك السياق:

(وقد لهج أعداء السنّة وأعداء الإسلام في عصرنا ، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته وما إلىٰ ذلك ، وإنما أرادوا أن يصلوا إلىٰ تشكيك الناس في الإسلام تبعاً لسادتهم المبشّرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلىٰ الاقتصار علىٰ الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صحّ من الحديث في رأيهم ، وما صحّ من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم وما يتبعون من شعائر أوروبة وشرائعها ، ولن يتورّع أحدهم عن تأويل القرآن إلىٰ ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ليوافق تأويلهم وهواهم وما إليه يقصدون!! .

وما كانوا بأول من حارب الإسلام في هذا الباب ، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً ، والإسلام يسير في طريقه قُدماً ، وهم يصيحون ما شاؤوا ، لا يكاد الإسلام يسمعهم ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميراً.

ومن عجبٍ أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلىٰ ما قال أولئك الأقدمون ، بفرقٍ واحدٍ فقط: أن أولئك الأقدمين ـ زائغين كانوا أم ملحدين ـ كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضلّه الله علىٰ علم! أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاغ ألفاظٍ لا يحسنونها يقلّدون في الكفر ثم يتعالون علىٰ كل من حاول وضعهم علىٰ الطريق القويم!! ولقد رأيت الحاكم

---

(١) أضواء علىٰ السنّة المحمدية: ١٧٢ ـ ١٧٣ .

أبا عبد الله المتوفى سنة (٤٠٥ هـ) حكىٰ في كتابه (المستدرك)[١] كلام شيخ شيوخه ، إمام الأئمة أبي بكر بن محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفىٰ سنة (٣١١ هـ) في الردّ علىٰ من تكلّم في أبي هريرة ، فكأنما هو يردّ علىٰ أهل عصرنا هؤلاء ، وهذا نصّ كلامه:

(وإنما يتكلم في أبي هريرة لرفع أخباره من قد أعمىٰ الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار: إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالىٰ قد نزهه عنه تمويهاً علىٰ الرعاع والسفلة ، أن أخباره لا تثبت بها الحجّة ، وإما خارجي يرىٰ السيف علىٰ أمة محمد ﷺ ، ولا يرىٰ طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ولم يجد حيلة في دفع أخباره بحجّة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة ، أو قدري اعتزل الإسلام وأهله ، وكفّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدّرها الله تعالىٰ وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلىٰ أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر ، ولم يجد حجة يؤيد بها صحة مقالته التي هي كفر وشك ، كانت حجته عن نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها! أو جاهلٍ يتعاطىٰ الفقه ويطلبه من غير مظّانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبىٰ مذهبه التي تخالف مذهبه ويحتجّ بأخباره علىٰ مخالفيه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه. .)[٢].

ج. عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أحد كبار رواة الأحاديث النبوية ، وأحد الذين كتبوا الأحاديث في زمن رسول الله ﷺ ، مصداق ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب العلم

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣/ ٥١٣.

(٢) مسند أحمد: ١٢/ ٨٤.

عن أبي هريرة قال: (ما كان أحدٌ أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب..).

ومصداق ذلك ما أخرجه ابن سعد عن عبد الله بن عمرو قال: استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعته، قال: فأذن لي فكتبته، فكان عبد الله يسمّي صحيفته تلك الصادقة[1].

لكن بعض الحاقدين دسّوا السّم في العسل، وقالوا: لقد تعلّم عبد الله بن عمرو اللغة السريانية، وتتلمذ على يد كعب الأحبار و..!!

وهذا يدخل تحت الشعار الذي رفعه عليّ رضي الله عنه: (كلمة حقّ أُريد بها باطل). فعبد الله تعلّم السريانية في بلاد الشام، وكان يروي بعض ما ورد في التوراة، لكن بما يوافق الشريعة الإسلامية، من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

قال في التوارة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غُلفاً).

لكن أبا ريّة وأمثاله حرّفوا الكلم عن مواضعه، واتهموا كبار الصحابة، ومنهم عبد الله بن عمرو بأنهم كانوا يروون الإسرائيليات ويخلطونها في التفسير والحديث!!

لكنه الدّجل والافتراءات وقلّة الأمانة العلمية، مثال ذلك:

---

(١) الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٦١.

(٢) الأحزاب: ٤٥.

نقل أبو رية عن (فتح الباري لابن حجر العسقلاني)[1] أن عبد الله بن عمرو كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس عن النبي ﷺ ، فتجنب الأخذ عنه كثيرٌ من أئمة التابعين ، وكان يُقال له: لا تحدّثنا عن الزاملتين!![2].

والحقيقة هي أن عبارة ابن حجر خالية من عبارة (عن النبي) ، ولكن أبا ريّة زادها من عنده ، تدليساً وكذباً ، حتىٰ توافق هواه!!!

د ـ عبد الله بن سلام رضي الله عنه:

يهودي ، أسلم في عهد رسول الله ﷺ ، أخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: فيه أنزل قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[3] ، وكان عالماً بعلوم التوراة وعلوم القرآن الكريم.

لكن ـ مما يؤسف له ـ أن بعض الحاقدين علىٰ الإسلام طعنوا فيه من زاوية روايته للإسرائيليات.

والحق يعلّمنا أن نزنَ كل ذلك بالميزان الشرعي ، فما وافق الكتاب والسنة أخذنا به ، وما خالف تركناه جانباً ، والحق أحقُّ أن يُتبع.

* * *

(١) فتح الباري: ١/٢٦٦.

(٢) أضواء علىٰ السنّة المحمدية: ١٦٢.

(٣) الأحقاف: ١٠.